رسائل لن تصل

الـكـتـاب: رسـائـل لـن تـصل / قـصص

الـمـؤلـف: كـولان يـوسف

الـطـبـعـة الأولـى: ٢٠١٩

© جـمـيـع الـحـقـوق مـحـفـوظـة لـلـمـؤلـف

E-Mail: suryanasyr@yahoo.com
suryanasyr8@gmail.com

الـتـنـضـيـد والـتـدقـيـق والإخـراج والـطـبـاعـة الـقـسـم الـفـنـي: مـؤسسة سـوريـانـا

لا يـسمح بـطـبـاعـة هـذا الـكـتـاب أو نـسخه إلا بـإذن خـاص ومـسبق مـن الـمـؤلـف

All right reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted. Without permission in writing from the Author

طبع في مطابع مؤسسة سوريانا

رسائل لن تصل

قصص

كولان يوسف

إهداء

إلى مير.. من زاد شعري سواداً.. الذي هو أقدس من أن يُكتَب.. الذي هو أنا.

إلى أمّي؛ أطهر أشكال الوجود.

أخي الذي طلبت منه نجمة، فأهداني مجرّة.

أختي؛ بصيص الحبّ والأمل.

كولان

عزرا

البومة

واقفاً مقابل نافذتها يمشي جيئةً وذهاباً بخطواتٍ صغيرة، ومشيةٍ تشبه مشيةَ دجاجة، يتمتم:

- منحوسْ، منحوسْ.

الكلمة التي لا يكفّ الناس عن نعته بها.

- تبّاً لهم. حفنةٌ من ال..

لم يستطع إنهاء شتائمه إذ رآها تدخل غرفتها مترّنحة. وقفت أمام المرآة، وخلعت قرطيها من أذنيها اللتين تشبهان أذني الجنيّات. لم يعلم يوماً كيف يصنّفها وفق مقاييس الجمال. أنفها فيه انحناءةٌ حنونة كأنوف ملكات فارس، وبشرةٌ إيطاليّة تتناثر عليها الشامات والنمش بشكلٍ عشوائيّ تارةٍ، أو متوضّعةٍ بشكلٍ رمزيّ - كشامات كتفها التي أخذت شكل مجموعة الدب الأكبر- تارةً أخرى. أما شعرها فأسود كسواد شعر المغاربة- كأنّها مزيجٌ فريد من الأعراق- لا لا، بل شعرها أسود كسواد قلوب الناس الذين

كانوا يخبرونه بأنه لن يحصل عليها رغم أنها كانت تحبّه. لم يكن أحدٌ يفهم سرّ هذا الحبّ، فهي فتاةٌ من النوع الذي يُكتَب عنه، أو يُغنَّى عنه رغم أنها لم تكن فائقة الجمال لكن سرٌّ غريب يشدّ الجميع إليها. لكن هي اختارته.

المنحوسْ، بومةُ النحس، وجهُ البومة، بعض التسميات التي رافقته منذ طفولته لكن لم يُلَم أحدٌ على نبزه بهذه الألقاب، فهي لم تظهر من لا شيء، وهو نفسهُ كان على يقينٍ بأنّها تعبّر عنه. بدأت علامات حظّه السيّئ بالظهور عند ولادته، فماتت أمّه وهي تلده، وتعرّض أبوه لحادثِ سيرٍ تسبّب في شلّ حركته وهو متّجهٌ إلى الدائرة الحكوميّة ليضيف اسمه إلى دفتر العائلة. حتّى أنّ فريق مدرسته لكرة القدم كانوا يأخذونه ليشجّع الفريق الخصم، وهكذا يضمنون فوزهم. لكن تلك الحسناء أحبّته رغم لعنته. انتشله لحنُ أغنيةٍ فرنسيّةٍ كلاسيكيّة متسرّبٍ من غرفتها من كوابيس اليقظة التي أحاطت به. بقيت عيناه تحدّقان بها بثبات وهي تتمايل وتبدأ بالرقص. الفستان المخمليّ الطويل يجعلها تبدو كلوحةٍ فنيّة وهي ترقص. نقل عينيه إلى جدار الغرفة المغطّى بالصور والقصاصات الورقيّة متسائلاً:

- يا ترى هل ما تزال كلماتي هي المعلّقة على جدارها؟

التهمت الغيرة والتساؤلات خلايا عقله.

- منحوسْ. حسناً، منحوسْ لكن لا أبالي.. يا لهم من أوغاد! سأذهب إليها.

مشى بخطواتٍ بطيئة ثم اندفع إلى النافذة ليفتحها. ارتطم بها. كان قد نسي أن يترك إيمانه بلعنته وراءه.. كان قد نسيَ أّنه تحوّل إلى بومة.

إنها الماسونية

انضمّ فؤاد إلى تجمّع كبار السنّ المعتاد في المقهى. مجموعةٌ من العجائز المتقاعدين عن العمل الّذين لم تعد لعبة النّرد(طاولة الزهر)، وغيرها من الألعاب تكفيهم للاستمتاع بوقتهم، فلجؤوا إلى هذا المقهى القديم. لعلّ سبب حبّهم له كان أنّه يُشعرهم بأنّ هناك شيئاً أكبر سنّاً منهم، فالتقدم بالعمر هنا لا يكفي أنّه يحرم الإنسان من قيام جسده بوظائفه بكفاءة بل إنّه يسلب منه خصوصيّته أيضاً، فيصبح محاطاً بالأحفاد طوال الوقت، ويُرغم على سماع عبارات التملّق من العائلة؛ خاصّةً إذا كان لديه ثروةٌ سيورثها لأفرادها. الآن، أصبحوا يملؤون وقتهم باللقاء والحديث عن كلّ ما يدور في العالم بشكلٍ عامّ، وفي الحيّ بشكلٍ خاصّ، ويسترسلون في تفسير وتحليل كلّ ما يسمعون من أخبار.

فؤاد هو الأصغر سنّاً بينهم؛ يبلغ من العمر الخامسة والخمسين، ينضمّ إلى مجالسهم هرباً من الملل الذي يداهمه وقت فراغه رغم أنّ لديه زوجة وابنتان لكن على حدّ قوله: من ذا الّذي

يقضي وقته مع النّساء؟! بالنّهاية هنّ لا يفقهن شيئاً سوى الطبخ.

راح يستمع إليهم صامتاً وهم يتحدّثون عن مرض السّرطان لأنّ انتشاره أخذ يزداد في العالم. يبدؤون بالنّبش عن أسبابه فمنهم من قال التدخين، ومنهم من قال الأطعمة غير الصّحيّة.. إلخ. خرج فؤاد عن صمته قائلاً:

- لِمَ تشغلون أنفسكم بتفسير مشكلةٍ أسبابها واضحةٌ؟

ساد الصّمت لبرهةٍ، ثمّ سأل أحدهم:

- إذا كنت تقول إنّ الأسباب واضحة، فما هي هذه الأسباب؟

ردّ فؤاد بنبرةٍ واثقة:

- إنّها الماسونيّة.

- الماسونية! لم أسمع بها قط. ماذا تعني الماسونيّة؟

- قالوا في الحيّ إنّها السبب وراء كلّ الخبائث في العالم. حسناً، وأنا... وأنا أصدّق كلّ ما يقال في هناك، فهم لا يكذبون.

ثمّ نهض فؤاد، واستأذن تاركاً إيّاهم وسط جوٍّ من الحيرة والغرابة.

في اليوم التالي، قالت له زوجته إنّ ابنتهما الكبرى ترغب بأن تسافر إلى مدينةٍ أخرى لتكمل دراستها. استشاط غضباً، وصرخ:

- كيف لها أن تفكّر بالسّفر لوحدها، والدراسة؟ إنّها فتاة! يا للهول إنّها الماسونيّة!

- ماذا؟ ما هذه الماسونيّة يا رجل؟

- إنّها مؤامرة لإفساد أخلاق أمّتنا، وهي السبب وراء كلّ الشّرور في العالم.

في الأيّام التاليّة، أصبح وضعه لا يطاق حيث تخلّص من التّلفاز والهواتف المحمولة في البيت، وغيرها بحجّة أنّها منتجاتٌ ماسونيّة، ولا ينفكّ يقول عبارته الّتي أصبح مشهوراً بها "إنّها الماسونيّة" كجوابٍ على أيّ شيءٍ يُسأل عنه. هربت ابنتاه من المنزل حتّى أنّ زوجته تخلّت عنه لأنه باتَ مهووساً بفكرة أنّ كلّ شيءٍ من حوله هو مؤامرة، أصبح كالمجنون يهيم وحده في الحيّ الكبير. وفي يومٍ عاصف، كان العجائز الّذين يجالسهم عائدين من المقهى المعتاد إلى بيوتهم حين سمعوا دويّ صاعقةٍ مخيف. هرعوا باتّجاه الصوت ليروا فؤاد ملقيّاً على الأرض،

وقد ضربته الصّاعقة. يلفظ أنفاسه الأخيرة متمتماً بكلامٍ بالكاد يسمع:

- إنّ... إنّها الماسونيّة.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

دوري مي حرب!

مكبّرات الصوت تتوضّع في أطراف لوحات الإعلانات العالية في الشوارع. تبثّ نوعاً واحداً من الموسيقا-أحياناً الأغنية نفسها-والجنود الموسيقيّون يتناثرون على الأرصفةِ كالسمسم على رغيف الخبز. الموسيقا في كلّ مكان؛ الجمال في كلّ مكانْ، والموسيقا العامة الموحدة في المدن هي وسيلة الحكوماتِ لإظهار سيادتها في هذه الأيام، فمنها من تفرض سماع الموسيقا الشيوعيّة، ومنها من تفرض السّيمفونيّات الكلاسيكيّة، وهكذا.

الرابع والعشرون من أيلولِ عام ألفين وخمسة وسبعين:

" أعلن الحاكم يومَ أمسْ أنّ الموسيقا الصاخبة ستستبدل، ولن تُسمَع إلّا موسيقا الجاز في المدينة، فهي تليق أكثر بحجارتها القديمة. إلى الآن، لا أحد يعلم هل هذا القرار ناتجٌ عن رغبات الحاكم الشخصيّة أم هو جزءٌ من خطّةٍ ما. كالعادة توجه المعارضون للقرار(كارهو

الجاز هذه المرة) إلى أقبيتهم ليسمعوا أغانيهم بسلام بعد أن رفض الحاكم اعتراضهم على قراره قائلاً:

- إنّ السمّاعاتِ موجودةٌ لتسمعوا ما تريدون حينَ لا تعجبكم الموسيقا العامّة؛ استخدموها!

بالطّبع لن يشغل الحاكم نفسه بمتاعب الأقليّات الذوقية الآن، فالبلاد تخوض حرباً خارجيّة مع أحد البلدان المجاورة، والتّركيز الآنَ منصبٌّ على تطوير مكبّرات الصوت لإيصال أعمق تأثيرٍ للحن. لعلَّ وعسى أن يقبل الاتّحاد الموسيقيّ الأعلى هذه المكبّرات كعربونٍ لإيقاف هذه الحرب بين البلدين. لأيّ سببٍ بدأت الحرب؟! حسناً، سأخبركم. المدن الحدوديّة في جميع البلدان يجبُ أن تتبع أنظمةً وقوانينَ صارمة، ومن هذه القوانين أنّ تردّدَ صوتِ الموسيقا في مدينتين حدوديّتين متجاورتين-كلٌّ منهما في بلدٍ مختلف-يجب أن يكونَ متماثلاً. لكنّ مدينةً حدوديّةً في بلادنا رفعت صوت الموسيقا-يُقال عن طريق الخطأ-حتى بات يُسمَع في المدينة الأخرى، أي أصبح يطغى على صوتِ موسيقا مدينةِ بلدِ الجوار؛ ما أثار غضب حاكم تلك البلاد، ورفع صوت الموسيقا بدوره،

وهكذا انتشرت الحرب في جميع مناطق البلدين. أحدهما يرفع الصوت، والآخر يرفعه أكثر فيعلو عليه. حتّى سمعت المحكمة الموسيقيَة العليا بالحرب، وأحالت البلدين إلى القضاء."

انتهى الجدّ من قراءة الصحيفة لأحفاده، وظلّ صامتاً لبرهةٍ من الزمن. تتقاذفه آلاف الأحاسيس المتناقضة. الحرب الموسيقيّة التي تخيف الجميع الآن؛ كان يتمنّى لو أنّ كلَّ حروبِ زمانه كانت مثلها. شدّ حفيده الأصغر طرف قميصه محاولاً إيقاظه من صمته:

- لماذا أنت صامتٌ يا جدّي؟

- الموسيقا هبةٌ إلهيّة، الموسيقا جمال. حتّى عندما يعلو صوتها ليتحوّل إلى صخبٍ وحربْ، تبقى أجمل بكثير من الأصوات الّتي سمعتها، وأنقى بكثير من الحروب الّتي شهدتها. من سماع دويّ الانفجارات والقصف وأزيز الطّائرات الحربيّة، من مشاهدة الدّماء والرّكام والأشلاءْ.

- ما معنى أشلاء يا جدّي؟

ابتسم العجوز ابتسامةَ راحةٍ من كلّ الذكريات:

- لا شيءَ يا ولدي. لا شيءَ على الإطلاق.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

فستان جدّتي

أرسلتني أمي صباح اليوم إلى الخياط لأحضر لها غرضاً. في طريقي إليه وجدتُ زوجاً من العجائز يمشيان متشابكي الأيدي على الرصيف. لوهلةٍ تراءى لي أنّ قلبيهما هما المتشابكان. سرتُ وراءهما طول الطريق لعلّ حبّهما يعديني.

وصلتُ إلى دكان الخياط الصغير في وقتٍ أقصر من الذي كنتُ أتوقعه، لربّما الزمن يتقلّص عندما يكون المرء مستمتعاً. دخلت الدكان، وصمتت لبضع ثوانٍ فأنا لا أجيد المبادرة بالكلام، ولا بأي شيءٍ آخر. تأملت عيني الخيّاط الغائرتين، وشعره الحالك السواد الذي لا يتخلله الشيب رغمَ تقدّمه بالعمر، ثم تكلّمت دون إلقاء السلام:

- أرسلتني أمي لأسألك عن الفستان الذي طلبت منك أن تخيطه. هل أنهيته؟
- نعم، ويمكنك أخذه الآن.

- شكراً.

ناولني كيساً ورقيّاً فيه الفستان الذي لا أعلم عنه شيئاً. خرجت من هناك، وغزتني الأفكار مجدداً مع أول خطوةٍ على الرصيف. هل تتغلغل التجاعيد في الروح كما تفعل في الجلد؟ لا أدري، لكنني أشعر بأن روحي لم تتغيّر منذ أقدم تفصيلٍ في الذاكرة. هل كان الزوجان يمسكان يدي بعضهما بعضاً بدافع الحبّ أم الاستناد؟ أَ وَ ليسَ الحبّ استناداً؟ ربّما روحاهما شائبتان كشعرهما، وربّما يافعتان كآخر حفيدٍ لهما.

وصلتُ إلى باب البيت، و مددت يدي إلى جيبي الصغير لأخرج المفتاح لكن لم أجده. رننتُ الجرس بانتظار توبيخ أمي لي لأنّي كنتُ السبب بانقطاع راحتها، ونهوضها لتفتح الباب لي. أطّلت بعينيها عميقتي الزُّرقة المليئتين بالغضب من وراء باب البيت الحديدي:

- أَ لمْ أخبركِ مئة مرّة أن تأخذي مفتاحكِ معكِ عندما تخرجين؟ هل علي النهوض كلّ خمس دقائق لأفتح لك الباب؟
- آسفة يا أمّي لقد نسيته. هاكِ الفستان.

كرّرت كلامي بسخرية:

- آسفة يا أمّي لقد نسيته. خذي الفستان إلى جدّتكِ إنّه لها، وخذي معكِ هذا المفتاح.

تناولتُ المفتاح من يدها، وتوجّهتُ إلى بيت جدّي مع احتفاظ عقلي بتساؤلاته حول إذا كانت الروح تشيخُ أم لا. ربّما أمّي غاضبةٌ لأنّ روحها كبرت، أو ربّما لأن روحها صغيرة، وتتحمّل الكثير. ربّما لن أجد الإجابة أبداً.

جاء كلام جدّتي البالغة من العمر بضعاً وثمانين سنة بعد أن تفحصت الفستان ليبعد كلّ سؤال:

- ما هذا الفستان الذي صنعه لي؟ إنّه يشبه ثياب العجائز.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

عزرا

كان عليّ أن أتمالك نفسي أكثر، لكن لا أملك شيئاً أصمد لأجله؛ الموت هو أن تحيا بلا سببٍ للحياة، وحياتي ملأتني بأسباب الموت.

اليوم أرقص أو أموت. أراقص نفسي كلّ ليلة على ألحانٍ قديمة، أمّي لا تفهمني، وتبكي في كلّ مرّة تراني فيها أراقص ظلّي، وأقول لها:

- ليس ذنبي يا أمّي.. في الليل أرقص أو أموت.

لا أظنّها ستفهم يوماً، فأنا لن أفهم. لا أصدقاء لي، لا أصدقاء خياليّين لي، ولا أمّ لي. غرفتي ممتلئةٌ بنسخٍ عنّي، نسخٌ مخيفة. أشدّها لطفاً تدعو إلى القتل بلا سبب؛ الفوضى باسم الفوضى فقط.

أهرب من الغرفة المشارفة على التقيّؤ إلى المطبخ. زجاجة فودكا كفيلةٌ بأن تعيدني وحيدة لا شريك لي في ذاتي. أجبر قدميّ على حملي إلى الثلّاجة المغطّاة بفواكه بلاستيكيّة اعتدت أن أحبّها في صغري. الفودكا أحياناً تكون منزلاً،

لكن الليلة لا فودكا في المنزل. سأتناول كأساً من الماء، وأتظاهر بأنّه كحول. أرى الماء ينساب عبر هيكلي العظميّ، ويندلق على أرضية المطبخ القذرة. ربّما أكون قد متُّ منذ زمن سحيق، ربّما متّ يومَ تفادتني تلك الرصاصة الطائشة فما الموت إلا رؤيته، وربّما لم تكن الرصاصة طائشة.

عدت إلى السرير خالية الوفاض أتمعّن في وجوهي. ربّما كلّنا في الغرفة تعاونا على حمل نعشي؛ لابدّ أنّ نعشي كان خفيفاً جدّاً. أربعون كيلوغراماً من اللحم البشريّ والحزن، ومع كلّ تلك الخفّة كان رأسي أثقل من أن أرفعه نحو السماء.

أتحدّث دون أن أسمعني، فلا حاجة لأن أراقب شتائم فمي حين لا يسمع أحد. الآن، أذكر أوّل محادثة جرت بيني وبين الطبيب النفسي:

- هل هناك أحدٌ يستمع إليك؟
- بالطبع.
- قلت يستمع إليك، وليس يسمعك.
- أوه.. أظنّ ذلك.
- لو كان هذا صحيحاً ما كنت لتكوني هنا الآن.

واليوم، لا أزال هنا، لا أزال معلّقة على الحائط إلى جانب المعطف الجلديّ المهترئ في

غرفة الطبيب. لم أعد لزيارته لأنّي لم أغادر قط، فأنا أترك جزءاً منّي في كلّ مكانٍ تفوح منه رائحة حضنٍ دافئ كخبز التنّور، واليوم لا أحد يستمع إلي، لَا أحد ينظر إلي.

أزحت ستارة النافذة مع بزوغ الشمس، وجلست أعدّ قضبان قفصي الصدري. لابدّ أنّ عصفوراً صغيراً حبيس هذا القفص. ربّما سأطلق سراحه يوماً ما.

مع تدفّق القليل من الحياة في شراييني - وما الحياة إلا أمل- وقفت؛ وقفت قبالة نفسي أوبّخها:

- لماذا تنغمسين في الغباء راضيةً؟ أَلا تزالين تصدّقين أنّ العريّ والتقوقع على ذاتك بالطريقة نفسها كلّ ليلة سيحوّل العالم إلى رحم أمّك، أو سيعيدك إليه لتشنقي نفسك بالحبل السرّي قبل أن تولدي؟ أم أنّ خوفك اللامبرّر من كلّ شيء سيُسمَح له أن يقذفك من حافّة الهاوية لسقوطٍ في ثقبٍ لامتناهٍ؟ استيقظي يا عزرا، واقتلي ما يخيفك قبل أن يقتلك.

احتجت لقليل من الوقت بعدها لأرفع بصري إلى أنايَ الطاغية، وأهمس:

- لكن لا يخيفني سواكِ.

لا انتماءَ

لا أنتمي لشيء سوى الفراغ. أين تبعثرت انتماءاتي؟ أخي الصغير ماتَ وهو يركض فرحاً بشارعنا الّذي عبّدته البلديّة أخيراً، مات مدهوساً. أمّي وأبي قُتِلا على يد لصٍّ، وهما يمارسان الحبّ. حبيبتي هجرتني لأني قلت لها لا انتماء لي. حتّى أنني لم أعد أشعر بالانتماء لسريري الذي تحمّل ثقل جثّتي ليالي، وصباحاتٍ لا تحصى، أظنّ أن لا أحد غيره تحمّل ثقلي. أراجع الآن انتماءاتي التي فقدتها قبل الشروع بتنفيذ خطّتي الخرقاء للحصول على انتماءٍ جديد. مدينتي المتديّنة تبرّأت مني لأني أداوي معاناتي بالسُّكرْ. أصدقائي تخلّوا عنّي بدورهم لأنّ مدينتي تخلّت عنّي. أذكر كيف تطوّعت في الجيش قبل سنتين بحثاً عن انتماء. أحد عشر شهراً أعادت لي رؤية الموت كلّ يوم منهم الحياة، ثمّ عدتُ لفراغي فاقداً ساقاً، ووطَناً. لم يعد الوطن يعنيني بعد عودتي. منذ عودتي إلى فراغي المتمثل بغرفتي الصغيرة التي أخجل أن أسميها بيتاً، بدأت بالقراءة عن السّحر الأسود.

اعتبرته آخر قشّة أمل لوجودي الغريق. سافرتُ إلى مدينتي القديمة بحثاً عن رجلٍ فيها أخبروني أنه يمارس السحر. أجوبُ اليوم شوارع المدينة التي طردتني يوماً بحثاً عن ساحر! لعلّي جننت. البرد شديد، وعظامي أصبحت أرقّ من أن تتحمّله. وجدتُ بيته أخيراً، أخبرته بما أريد، وقال لي إنه سيحضر إلى بيتي بعد يومين.

بعد يومين، قرع الساحر بابَ بيتي، وبيده حقيبةٌ جلديّةٌ قديمة. أخبرته بأنني جاهزٌ لأبيع روحي للشيطان. نعم، سأبيع روحي للشيطان. هكذا سيمتلكني، وأنتمي إليه. هكذا سأكفّ عن الامتلاء بالخواء.

أغلق السّاحر النوافذ، وأسدل الستائر، وأشعل الكثير من الشموع والبخور، ثمّ رسم نجمةً وبعض الطلاسم على أرض الغرفة الخالية من الأثاث. أعطيته المال الذي يريده. جلست وسط النجمة التي رسمها. أخرج كتاباً قديماً من الحقيبة الجلدية، ثمّ عصب عينيّ، وقيّد يدَي، وبدأ يتمتم بكلامٍ لم أفهمه. بعد نصفِ ساعة من بدء هذه الطقوس، فكّ العصبة عن عينيّ، رأيته فاغراً فاهُ وعيناه تفيضان بالاندهاش. التهمتني الحيرة، فسألت:

- ماذا حصل؟ أنا لا أشعرُ بأيّ اختلاف.

استغرق بعض الوقت بالتسمّر قبل أن يجيبني:

- عذراً .. سيّدي، لا روح لديكَ لتُباع. لا روحَ لديك.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

إعدام

زقاقٌ ضيّق، بابٌ ضيّق لبيتٍ ضيّق، والمدينة مليئة بالذباب كأنّها سلّة قمامة كبيرة.. ذباب وشعراء يكتبون عن الذباب.

اليوم سبت، وفي كلّ سبت أحتار بين أن أموت اليوم أو الإثنين. أؤجّل الموت قليلاً لتكبر أسبابي قليلاً.

جدران الأزقّة الشاحبة حيّة أكثر من البشر هنا، لكن ليس أكثر مني، وأنا كي لا أتعارك مع أشباح المدينة أُجبَر على أن أدثّر حياتي بأوشحةٍ سوداء منذ أن قُبِض عليّ في صغري وأنا أرقص على ألحان سيمفونيّة مهرّبة وجدتها مصادفة. يومها كبرت؛ أنا أكبرهم، فهم ينامون كلّ ليلة أمّا أنا فأسهر لأحلم وأكبر.. أكبر، وأكبر. بداخلي أشياء أشعر بها تكبر، وآن أوان تجلّيها. لكن هل أطلقها، وأدفن نفسي؟ تبّاً لهذه المدينة. ما أشعر به أجمل من أن يكون جريمة.

عقلي يتمرّد أكثر فأكثر، لم يعد قنوعاً بسرّي الصغير، وأصبح يريد مدينة أخرى مليئة بأسرار مثلي، ثمّ تغدو الأسرار بوحاً جميلاً. لكن أموت! وأدفع حياتي ثمن البوح. الخوف كبير لكن القلب يغلبه؛ القلب يغلب كلّ ما تظنّ أنّه لا يُغلَب.

مسكت قلماً كنت أخبّئه بحذر، وبدأت أكتب على ورقة صفراء. أطوي خوفي وأكتب.. أودّع نفسي وأكتب، وما أكتبه محرّم هنا. بخطٍ عريض في النهاية كتبت:

" أنا اليوم أعيش؛ أنا أحبّ. "

واستسلمت للفراغ؛ فراغٌ مذاقه كحضن أمّي.

بعد هنيهةً من الفراغ، كنت أُجَرّ إلى قاعة المحكمة. كشّر القاضي عن أنيابٍ متيبّسة، وقال:

- هل خطت يدكِ المتّهمة هذه الذنوب؟
- أجل. " أنا أحبّ. "

ضرب بمطرقته الخشبيّة، وقهقه منتشياً:

- مذنبةٌ يدكِ.

لبست ابتسامتي، ورحت أتمتم:

- بعض الذنوب ألذّ من أن تشعرك بالندم.

واليوم كلّ ما تبقّى مني ليراه سكّان المدينة هو يدٌ مشنوقة، وبصيص حبّ.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

صناعة الشيطان

بدأ بقضم أظافره كأنّه يحاول قضم خوفه عندما رأى أمّه غاضبة للمرّة الأولى. كأنّ يداً منذرة بالصفع تخرج من عينيها. صوتها مرتفعٌ وغريب. ظنّ أنّ أمّه تحوّلت إلى وحشْ.

في هذه المدينة لا أحد يستشيط غضباً في وجه الآخر، ولا أحد يضطر للكذب.

صرخت بصوتٍ هزّ كيانه الطفولي:

- كيف تجرّأت على كسر تلك المزهرية؟! كانت هديّةً من جدّتك.

حوصِرَ ذهنه في زاويةٍ ضيّقة. بدأ يفكّر أنّه من الممكن أن تقتله أمّه "الوحش، أو تفترسه إذا عرفت أنّه هو من كسر المزهرية، لكن كيف عساه ينجي نفسه من مصابه؟ هل ستسامحه أمّه أم تؤذيه؟ لعلّها ستطرده من المنزل. انزلقت الحروف من ثغره دون إرادةٍ منه:

- ل... لمْ أكسرها يا أمّي، بل كان ابن عمّي. زارنا صباح اليوم، وكسرها دون قصدٍ، ثمّ هرب إلى البيت.

خرجت من باب الغرفة دون أن تلتفت، أو تكلّمه.

شعر ببنطاله يتبلّل، وهو يجلس على أرضية الغرفة وركبتاه ترتجفان.

في المساء، جلست الأم والقلق يتصبّب من ملامح وجهها. قلت لزوجها بنبرةٍ توهمك بأنّ روحها حشرجت في حلقها:

- لقد قال ابننا إنّ ابن عمّه كسر مزهرية والدتي لكن ابن عمّك لم يأت إلى بيتنا مطلقاً اليوم. أظنّ أنّه يكذب.
- يكذب! لكن لا يقترف هذه الحماقات سوى المتحجّجين بالشياطين وأبنائهم.

بعد هذا الكلام، انهارت سدود مدامعها، وأجهشت بالبكاء. لكن لا وقت للبكاء. عليها التفكير بطريقةٍ تجعل ابنها يتراجع عن كذبته، عن خطيئته الحمقاء التي من الممكن أن تجرّ وراءها آلاف الخطايا. مسحت دموعها بطرف

قميصها، وتوجّهت إلى غرفته، لم تفتح الباب قبل أن ترسم ابتسامةً على وجهها. جلست على طرف السرير، واحتضنته قائلةً:

- يا ولدي. البشر عندما يخطئون يجب أن يعتذروا، وأنا اليوم أخطأت عندما غضبت منك، لذلك أنا أعتذر. هل لديك شيءٌ لتعتذر عنه أنت أيضاً؟
- لا يا أمي.
- ربّما تريد الاعتذار عن كسرك للمزهرية، وأقول لك إنني أحبّك، وننسى الموضوع.

عندما سمع كلمة "المزهرية"، تدفّقت ذكرى وجه أمّه الحانق صباح اليوم إلى مخيلته، وعاد الخوف ليسري في جسده الصغير، فقال:

- لا، فلست أنا من كسرها. قلت للكِ.
- لكن ابن عمّك لم يخرج من البيت، لقد كلّمت أمّه! لماذا لا تقول الحقيقة؟

بلع ريقه، وحاول التفوّه بأي شيءٍ يملّصه من هذا المأزق:

- لا أدري يا أمّي. كأنّ صوتاً في رأسي طلب منّي ذلك. لم أكن أنا السبب. لم أكن أنا المذنب.

شحب وجه الأم، وجلس صمتٌ ثقيل على صدر الغرفة. صمتٌ امتدّ لبضع دقائق، ثمّ جرّت الأم قدميها خارج الغرفة.

وقفت مخطوفة اللون، معدومة تعابير الوجه أمام زوجها قائلةً:

- أظنّ أنّ ابننا قد بدأ بصنع شيطانه الخاص.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

قصة حبّ عادية

كان من الممكن أن تكون هذه قصّة حبٍّ عاديّة إلّا أنّ جميع أبطالها أموات.

كان جالساً أمام المرآة يتلمّس لحيته المكتملة- عنصرٍ رجولةٍ لم يكن يمتلكه من سنتين-وحواسه متيقّظةٌ بشكلٍ كاملْ عندما سمع صوت ارتطام حجرٍ صغيرٍ بإطار نافذته الحديديّ. أسرع إلى الخارج، فرأى حبيبته تلوّح له من شرفتها المجاورة لشرفته. همست:

- تعال. الجميع نيام.

قفز برشاقةٍ إلى شرفتها، واحتضنها بسجيّةٍ بشريّة. جلسا كتفاً إلى كتف على أرضيّة الشرفة الباردة، وكأنّ كتفيهما خلقا ليكونا متراصّين في لوحة فسيفساء عفويّة. جدران الشرفة الواسعة زاخرةٌ بالزخارف العديمة المعنى، وسماء تلك الليلة الصيفيّة مرصّعة بنجومٍ كالألماس على فساتين الأميرات. ابتدأ الحديثُ بالقول:

- لقد اشتقت إليكِ.

- وأنا أيضاً. لم نلتقِ منذُ أسبوع.
- الجامعة إذاً، هاه؟

امتدّت ابتسامتها بين أذنيها، وعيناها تكادان تغلقان، وهي تقول:

- أجل، سنغادر هذه المدينة أخيراً.

قضيا الساعة التالية، وهما يتحدّثان عن ذهابهما للجامعة معاً، وأنّهما لن يضطرا لانتظار نوم أهاليهما، والجيران، ونوم المدينة بأكملها ليتمكنّا من قضاء ساعةٍ، أو ساعتين سويّةً. في مدينةٍ أخرى، سيلتقيان في وضح النهار دون خوفٍ والتفات، لا أحد سيعرفهما هناك. أفصحا عن العديد من الأحلام، والكثير من الحبّ في تلك الساعة، وقضى هو الساعة الأخرى في عدّ خصلات شعرها، وشامات وجهها، وهي تدندن بصوتٍ خفيض. بعد ساعتين، عاد كلٌّ منهما إلى سريره مليئاً بالآخر.

مضى أسبوعان قبل أن يلتقيا مجدّداً. كانت خارجةً لتزور جدّتها، فقابلها أمام باب المبنى الذي يقع منزلها فيه، فرآهما حارس المبنى. اضطرّ أن يقضي الباقي من يومه، وهو يقنع الحارس بألّا يخبر والديها بأنّه رآهما معاً، فهذه المدينة تحرّم الحبّ.

توالت الأيّام واللقاءات، وباقات الحبّ والورد. فقأا عيني محرّمي الحبّ في الخفاء. أيّامٌ مليئةٌ بالآمال، والرسائل الورقيّة، وأغاني القدامى. إلى أن حان وقت الرحيل.

يوم غادرا المدينة متشابكي الأفئدة على متنِ حافلة. يوم تركا أبناء المدينة يتبادلون الشتائم ليتبادلا هما الحبّ والأحلام في مكانٍ آخر.

لكن هذا لم يحدثْ. لأنه لا وجود للمبنى، ولأنّ حارس المبنى ميت، وأهاليهما أموات، ولأنّهما قبل أن يرسما هذه الأحلام تحوّلا إلى غبارٍ منثورٍ في السّماء. كانت ستحدث هذه القصّة وشبيهاتها لولا ذاك التفجير الأعمى الذي طمس لافتات الشارع، ومعالم الحيّ.

قلتُ: كان من الممكن أن تكون هذه قصّة حبٍّ عاديّة إلّا أنّ جميع أبطالها أموات.

صورة فوتوغرافية

في البيت الدمشقي القديم، أيقظتها أصوات قهقهاتٍ عالية. البيت الذي يكون هادئاً رغم كثرة سكّانه.

تخبّطت في سريرها غير راغبةٍ في هجر النومْ، لكن الضحكات أخذت تتعالى، والنوم هو من بدأ يهجرها. تمتمت بلعناتٍ لطيفة، ونهضت. ماذا يعقل أن يكون سبب هذه الجلبة؟ أهل البيت طوال سنين لم يسمع لهم إلا صوت خصام، خصامٌ صامت. جرّت أذيال ثوبها الأبيض الحريري، ووقفت أمام المرآة. مسحت عينيها بخشونة لتزيل السواد الرابض تحتهما متناسيةً أنه أصبح جزءاً من وجهها كعينيها لا تستطيع اقتلاعه. جلست على شرفة غرفتها المطلّة على مساحةٍ صغيرةٍ في البيت تتوسطها نافورةٌ عتيقة. جلست لتحاول فهم سبب هذه القهقهات والسعادة. غريبٌ ما ترى؛ غريبٌ كيف أنّ الجميع يتحدّثون بألفة، ويبتسمون كأنّهم نبضات قلبٍ واحد بعد أن كان كلّ ما يجمعهم هو السلام

البارد إن التقت أعينهم مصادفة. جالت بناظريها في أنحاء البيت؛ عصافيرُ ملوّنة محبوسة في أقفاص، أزهارٌ، وأشجار قزمة، سقفٌ كان من المفروض أن يكون مفتوحاً على السماء لكنّه مغطّى لكي لا تنتهك العيون حرمات المنزل، بل تظنّ أنّه وضع لإخفاء فضائح أهل المنزل، والكثير الكثير من الشبابيك.

سمعت كلاماً وأصواتاً متداخلة صَعُبَ على أذنيها تفسيرها، ثمّ رأت الكلّ يجلسون. بدؤوا يحضرون العصير والحلوى. هل هو عرسٌ لم تعلم به؟ أم حلّ العيد مبكّراً؟ وضعوا كيساً أسود يحوي شيئاً مستطيل الشكل على الطاولة. تجمهروا حوله كأنّه من الأقداس. ياه! يا لهذا الجوّ المشحون بالسعادة!

لم تستطع كبت فضولها، تناست رداءها الفاضح الجميل، ونزلت الدرج مسرعةً. وقفت أمامهم كطفلٍ صغيرٍ نهمٍ للمعرفة يريد أن يشبع فضوله، وقالت بعينين مليئتين بالغرابة خاليتين من الحياة، ومن دون مقدّمات:

- ماذا تفعلون؟ ما هذا الذي في الكيس؟

ردّ صوتٌ سعيد:

- صورةٌ فوتوغرافيةٌ مؤطّرة؛ صورةٌ جماعيّة لنا. وجدتها تحت أنقاض بيتنا القديم حيث تركنا أنفسنا يومَ تهدّم، وها قد وجدتنا!

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

استهلاك

الأرجوحة الحديديّة الصدئة تهتزّ ببطءٍ تحت ثقل الفتاتين في تلك الليلة الصيفيّة الهادئة. النجوم لم تعد تُرى بسبب وهج أضواء النيون الصادر عن المدينة؛ كلّ ما هو طبيعيّ إلى زوال. إحداهما انفصلت عن حبيبها قبل يومين، تقول إنّه لم يحبّها بما فيه الكفاية.

نظرت صديقتها إليها نظرة المحقّق الذي حلّ لغزاً، وقالت:

- أحببتِ رجلاً مُستهلَكاً.
- ماذا تقصدين بمستهلَك؟ كيف يمكن للمرء أن يكون مستهلَكاً؟
- الإنسان يملك قدرةً هائلة على الحبّ، لكن بعد أن يحبّ للمرّة الحقيقيّة الأولى تُستهلك معظم هذه القدرة، ثمّ في كلّ علاقة حبٍّ بعدها يستهلك المزيد إلى أن يصبح مستهلَكاً بالكامل، وأنتِ أحببتِ رجلاً مستهلَكاً. كان لديه القليل القليل من الحبّ ليعطيه، وأعطاكِ إيّاه لكنّ مخزونه نفذ أي أنّ حبّه لك لم يرغمه على ارتكاب الحماقات كما

فعل حبّه الأول. ربّما أحضر لك وروداً لكن رائحتها لم تكن تفوح كما كانت عندما أحبّ للمرّة الأولى، وربّما كان بِراكِ امرأةً جميلة لكن لم يكن لِيَرَكِ أجمل امرأةٍ خُلِقَتْ. لم يغنِّ لك رغم صوته العذب لأنّ ترددات صوته كانت مستعملةً من قِبل أُخرى. أهديته مجرّات، وظننتِ أنّه بخل عليكِ بنجمة لكن الحقيقة أنّ سماءه لم تعد تسكنها النجوم. حمداً لله أنّه لم يقبّلكِ، كنت لحظتها لن تتذوّقي شفتيهِ بل شفاهَ النساء اللاّتي كُنَّ قبلكِ، وعندما كان يلمسكِ، كنتِ تشعرين بالاشمئزاز لأنّك كنت تشعرين بأيادي قبيلةٍ من النساء تلمسنكِ، وليس يديه. ما عادَ يملك كامل جلده، عينيه، أو شعره الأسود؛ دموعه ومشاعره نضبت في قصص حبٍّ قديمة، وعندما كنت تغضبين كان يبتعد ليتركك تهدئين وحيدة، فما من مساحاتٍ خالية في قلبه لاحتواء غضبك، وأنتِ قلبكِ كان لايزال شقيّاً مبللاً بالحياة.

- هراءٌ هذا الكلام. الحبّ لا ينضب، والبشر لا يصبحونَ مستهلَكين. لن أصبح هكذا؛ هو لم يستهلكني.

بعد عامٍ من تلك الأمسية، هي الآن في علاقة حبّ جديدةٍ.

رنّ هاتفها مصدراً لحناً هادئاً لسيمفونيّة تجهل اسمها.

- أنا غاضبٌ جدّاً، سأروي لكِ ما حصل اليوم.
- لا أستطيع التحدّث الآن.
- لكن.. أحتاجكِ.
- تمالك نفسك، واهدأ. سنتحدّث مساءً.

أغلقت الهاتف، ونظرت إلى ظلّها الساكن الباهت على جدار الغرفة. شهق الظلّ خائباً، وقال:

- أظنّ أنّك قد استُهلِكتِ.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

خميس المقابر

أخذ قلب ليلى شكل قفل الباب، وهو يراقب أمّها تخرج من بوابة حديقة المنزل. لبست بنطالها، وضعت القليل من الكحل في عينيها، زيّنت كاحلها بخلخالها، ووضعت حقيبتها على كتفها بعد أن وضعت فيها القليل من القمح؛ كلّ هذا على عَجَل. يوم الخميسِ في الساعةِ السادسةِ تماماً، تصبحِ المدينة خاليةً تماماً. خرجت من البيت مهرولةً نحو موطنها المؤقت، لا سيّارات أجرة، ولا سائقون اليوم في المدينة.

في الطريق، أخذت تتأمّل الشوارع الخالية من البشر المليئة بالحياة. كأنّ هذه الجدران العمياء تصبح سعيدةً بسماع خطى أقدام الناس وهم يغادرونها. بدأت تتخيّل كيف ستصبح المدينة إذا غادرها سكّانها بشكلٍ نهائيّ، تخيّلت أنّ بعض النباتات الجميلة ستنبت في شقوق جدران المنازل، وستسكن العصافير في أعشاشٍ على حواف الشبابيك دون الخوف من أن تُدمَّر، ستبقى كلّ الأضواء مطفأة لِتُرى كوكبات النجوم

-كما يجب أن تُرى- بشكلٍ أوضح. ستبدو السماء أعظم، وتبدو الأرض أجمل إن غادرها البشر.

لثقتها أنّ لا أحد في المدينة ليسمعها صرخت بدل أن تهمس كعادتها:

- نحن البشر نجعل كلّ شيء يبدو بشعاً؛ نمتصّ الحياة من منابعها.

وصلت إلى حديقتها الصغيرة، وضعت حقيبتها جانباً، وجلست على العشب الطويل. لا أحد يهتمّ بهذه الفسحة الخضراء، ولا أحد يزورها.

أخرجت قبضةً من القمح الذي جلبته، ونثرته على الأرض لتتهافت عليها بضع حمامات، وطائرا كناري؛ راقبتهم مبتسمة. نهضت لتراقص أغصان الأشجار المتدلية، داست بقدمها على بقعةِ طينٍ طريّة، فصنعت كوخاً طينيّاً صغيراً لترك بصمتها في هذا المكان المليء بالحبّ ال "لا مشروط"، ومسحت كفّيها ببنطالها بكلّ ما أوتيت من لا مبالاة.

أصبحت الساعة السابعة والربع، وضعت حقيبتها الجلديّة البنّيّة مجدّداً على كتفها، وودّعت الحديقة بانحناءةٍ كالأميرات لتكمل رقصتها في

طريقها إلى البيت على ألحان أغنية تُعزَف في مخيّلتها، تبادل الأرصفة الحجريّة الحبّ، وتعانق بيديها القضبان المرتفعة عن جدران حدائق البيوت.

وصلت إلى البيت، وتسلّلت برشاقة إلى غرفتها. ارتمت على السرير، وتنفّست الصعداء عندما رأت أنّ الساعة لم تصبح الثامنة بعد.

في الساعة الثامنة، بدأت أصوات أبواق السيارات تملأ الشوارع مجدّداً. فتحت أمّ ليلى باب غرفتها، وقالت:

- أَ لن تأتي معنا يوماً؟

تظاهرت ليلى بالنوم، ولم تجب.

في كلّ خميس، يخرج كلّ سكان المدينة لزيارة المقابر. الحرب متّفقةً مع آلهة الموت خطفت فرداً أو فردين من كلّ عائلة؛ ربّما أكثر إذا كانت العائلة والحظ متخاصمين، وكلّما ذهب الجميع لاستذكار الموت واستحضاره بقيت ليلى وحدها تمارس الحياة والحبّ مع المدينة.

⌑ ⌑ ⌑ ⌑ ⌑

عريّ

المنبّه يرنّ عند الخامسة مساءً. أطفأته بغضب، وأطلقت صوتاً يشبه النحيب متذمّرةً من الاستيقاظ لأنّها تبقى مستيقظة طوال الليل. في الليل كلّ شيء يزداد جمالاً، والموسيقا تحفر في القلب بشكلٍ أعمق. الظلام في الخارج يوقد ناراً عظيمة في باطنها قبل أن تتطفّل الشمس المزعجة، فنور البصيرة لا يمتّ لنور البصر بِصِلة.

غسلت وجهها، ونظرت إليه في المرآة كأنّها تنظر إلى غريب. ارتدت بنطالاً واسعاً، حذاءً قديماً أسود، ولفّت وشاحاً سميكاً حول رقبتها. خرجت من المنزل، وبدأت تهيم في الشوارع بخطواتٍ متثاقلة. البشر أصبحوا متشابهين جدّاً؛ يرتدون الثياب ذاتها لكن بألوان مختلفة، تسريحات الشعر ذاتها، حتّى أن ملامحهم أصبحت متشابهة لحدٍّ كبير، ومستحضرات التجميل تخفي ما تبقّى من معالمَ إنسانية في وجوههم؛ الجميع أصبح كالدمى. دثّرت وجهها بالوشاح الملتفّ حول عنقها في محاولةٍ لتخفي علامات الاشمئزاز التي عَلَتْهُ. دخلت متجر الملابس الفاخرة التي تزوره بين الحين والآخر لتقيس ثياباً لن تشتريها يوماً. الملابس هنا تشبه تلك التي رأتها في الخارج؛ كأنّها زيّ موحّد. حملت بضع قطعٍ منها لتقيسها، ارتدتها، وحدّقت في نفسها في مرايا غرف القياس، ثمّ سرعان ما شعرت بالخواء يقضم باطنها، فلملمت ما تبقّى من عريّها مدركةً أنّها كانت على وشك أن تبيعه بثمنٍ بخس، ورحلت عن المتجر لزيارة أخرى حينَ الحاجة.

مشت إلى البيت بخطوات صغيرة ومتقاربة؛ أغلقت الباب وراءها، وتعرّت من كلّ ما ترتدي.

أخرجت ثيابها القديمة من الخزانة المصنوعة من خشب السنديان، وألقتهم على سريرها الصغير ذي القوائم الحديديّة، ثمّ ارتمت هي، والتحفت أسمالَها البالية. قلبها يرجف تزامناً مع جسدها الهزيل. تمتمت مهدّئةً نفسها:

- مازلتِ إنسان؛ لم تتحوّلي لمسخٍ أو نسخة بعد. مازلتِ بشريّة.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

رسائل لن تصل

الرسالة رقم ١

لم تكن يوماً بعيداً هكذا.

الأزقة القديمة التي مشيناها يداً بيد لأيام وساعات تدوس عليّ اليوم. قلبي يحمل على ظهره كلّ الطرقات والأرصفة، كلّ الشوارع التي حملتنا على ظهورها يوماً.

الأطفال يلعبون بالقرب من نافذة غرفتي؛ أصواتهم تشوّش على جميع أفكاري. أريد أن أصرخ بأمّهم: "خذيهم من هنا" لكنّها أبعد من أن تسمع. إنّهم يمتصون ما تبقى بي من طاقة،

وقدرة على التركيز . هل فهمت؟ الأطفال هم ذكراك، وأنت أمّهم. لسوء حظّ قلبي لست هنا.

مشكلتنا أننا لا نستمع إلى الهمسات الخفيفة القادمة من وراء ورق الجدران، ولا نلقي بالاً للنجوم الأخفّ وميضاً؛ ربّما حفيف أوراق شجرة تين وسط الهدوء قد يكون رسالةً من الله يقول لك فيها: "تغيّر"، وربّما لو كنت قد أمعنت النظر في السماء سابقاً كنت سأرى ذاك النجم الذي بالكاد يضيء، وخلته لبرهةٍ قلبي المحتضر قبل أن أدرك أنه قمرٌ اصطناعي؛ لو رأيت وأدركت سابقاً كنت سأنقذ قلبي من السقوط، لكن الآن السقوط محتّم. غرق قلبي في سحيقك تماماً.

اقرأ جيّداً عزيزي، فالحقيقة لا تُكتب مرّتين. الفراشات التي كانت تتراقص في باطني حين رؤيتك اليوم تمضغ قلبي على مهل، ولم أعد أدري اليوم هل أكنّس فتاتَه أم أكنّسك منه.

وجدت شعرةً شائبة في رأسي العشريني يوم افترقنا. لم أستطع إلّا أن اتّخذها تحفةً في مقبرة تذكاراتنا. كالعادة أحتفل بكلّ ما تقدّمه لي.

إحدى عشرة ساعةً من النوم لم تعد تكفيني. في الحقيقة، لا شيء كافٍ لنسيانك. عيناك اللعينتان، وشرايين يديك البارزة.. لا شيء كافٍ لنسيانهم.

ما زالت أنتظرك تحت مظلة موقف الباص البائس الذي لملم شتاتنا يوماً، وإن لم أكن أنا فقلبي.

الرسالة رقم ٢

أودّ أن أحدّثك عن بعض الأمور؛ أوّل هذه الأمور أنّني اشتقت إليك.

حديقتنا التي زرعناها يداً بيد كبرت كثيراً؛ لم أكن أتوقّع أن تصبح بهذا الجمال يوماً، لكن شجرة الياسمين احترقت، وأبت أن تزهر بعدما رحلت. لقد أصبحت الحديقة أكبر منّي ومن جميع أحلامي يا أبتِ، وأظنّ أنّ طيفك الذي يسكنها بدأ يلتهم لحمي.

المدينة غيّرت ملامح وجهها القديم بعد أن رحلت؛ عمليّات التجميل طالتها هي أيضاً، لكنّي لا أرى جمالاً، أو لعلّني لا أرى شيئاً منها على

الإطلاق، فأنا لا أغادر منزلنا لأنّه المكان الوحيد الذي مازال يحتفظ برائحة الحياة التي فقدتها المدينة.

خلال سنتين كنت أقنع نفسي بفكرة أنّ حياتنا كالأفلام التي كنّا نشاهدها، حيث يختفي البطل لسببٍ ما، ويغيّر اسمه، ثمّ يعود ليرى من يحبّ. كنت أظنّكَ تنظر إلي خلسة من نافذة غرفتي أحياناً.. مازلت أريد أن أقتنع.

أكثرهم تكتّماً أنا.

أخي يحمل لك الكثير من الحنين يا أبتِ، والكثير من الحبّ لكن تركته يشيب قبلك. أظنّ أنّ أختي لا تدرك معنى الفقد بعد، وأتمنّى ألّا تدركه.

أمّي بات الألم يسكن قسمات وجهها الطفولي، وعيناها الخضراوان تحملان الكثير من كلّ شيء. هي أكثرنا ألماً يا أبتِ.. كنت حبيبها الأوّل. أ ترى؟ كان حبّكما هو السيناريو الذي أريده؛ الكثير من الحبّ غير المشروط، والرسائل الورقيّة. أظنّ أنّ هذا يفسّر لمَ أعاني من فوبيا الحبّ، أو ربّما هي فوبيا الفقد.

بدأت ذكراك تحشر نفسها بين جفنيّ الذين لا أريدهما أن يفيضا -ولن يفيضا- لذا سأتوقّف هنا.

لكن لن تُنسى يا أبتِ. ستظلّ الشغف الذي يُرى في عينيّ عندما أتحدّث عن الحبّ.

الرسالة رقم ٣

سألتني بماذا أفكّر.

لا تغريني كلّ أنواع التغيير؛ أنا مع ثبات البدايات.

لا يشدّني الواقعيون الذين يحرمون أنفسهم من لذّة وجود مسافةٍ بين أرجلهم والأرض.

أبغض جداول المواعيد والاتّفاقيّات المسبقة للقاءات.

يثير الملل لديّ الاعتياد على ارتياد المقاهي، وترك الأرصفة بأيّ حجّة.

أكره الذين يحطمون آمال الحالمين.

أفضّل البسطاء الذين يبوحون بكلّ شيء دون قيود. يرعبني البقاء في مدينة مزدحمة دون اللجوء إلى الطبيعة.

أبغض الممثّلين -في الحياة اليومية- ومن يجبرون المرء على التمثيل.

أرى أنّه من الغباء المطالبة بالمثاليّة، وأبجل ارتكاب الحماقات. "الحماقة الكبرى ألّا تكون لديك حماقات"

لعلّ أكثر من أستحقرهم هم الجبناء الذين يخفون الحبّ وراء حججٍ واهية، ويتباهون بأشياء أخرى أقل أهمّيّة، والذين يختبئون وراء أبواب موصدةٍ خشية الموت غير عالمين أنّهم يفوّتون عليهم حياةً.. إلخ.

أفكّر بالكثير من هذا، وأفكّر: هل ستكون جباناً فأكرهك؟

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

الرسالة رقم ٤

يوم وضعت رأسكِ على كتفي في تلك الحافلة الصدئة اختلطت على قلبي المحدود المفاهيم. لم أعلم يومها أنتِ أمّي أم ابنتي. لنتّفق على أنّكِ أمّ عقلي وابنة قلبي.

مهما يكن أنتِ أنثاي. ماذا يعني أن تكوني كذلك؟

أنّك أنثى يعني أنّك ستصفعين مرّة لأنّك خُلِقتِ، ثمّ ستصفعين مراراً بعدها لأنّك بكيتي بسبب الصفعة الأولى. يعني أنّكِ ستكونين هشّة

كرغيف خبزٍ يابس، وتُعامَلين كأنّك بصلابة هرقل. ستعملّين في اليوم بمهنٍ أكثر من تلك التي يمكن لرجلٍ ان يشغلها في حياته كاملة. طاهية، مربيّة، ممرّضة، معلّمة، وبائعة هوى لرجلك ليلاً. ستُصغين، ولن يُصغى إليك. ستقدِّرين، ولن تقدَّري. تسكتين، وتتكلّمين متى شاء الجميع إلا انتِ، فاهمسي في أذن خطيئتك الأولى التي لم تقترفيها:

"أنا حوّاء يا آدم. كنت كبش فداء شهواتك، ومازلتُ. كنت من قُدّمَت للنحر بدلاً منك، ومن شيطانك الذي صنعته، ومازلت. كنت دمية الفودو التي ستعذّب بها كلّ بنات قلبي، ومازلتُ."

قفي هكذا في وجه كلّ شيء، والجئي إليّ متى شئتِ. سيكون خيالي بانتظارك حين تهربين من واقعك المرير، وسأظلّ أحبّكِ.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

الرسالة رقم ٥

لن يكون بوسع رسالتي إلّا أن تشكرك، وأشكرك لأنّك أرشدتني إلى الله.

الآن قد رأيته بداخلي، وعلى حجارة الدرب القديم الواصل بين باب توما وباب السلام. في ريش العصافير حبيسة الأقفاص في بهو البيت الدمشقيّ القديم الذي يسكنني وينتمي إليّ منذ الأزل. في الأفعى التي تسكن مجرى مياه هذا البيت بسلام، وسكّانه يجاورونها بسلام. في حبّي السريالي لهذه الأفعى. في شجرة التوت التي تظلّل صغار الأرانب المخيفة في حديقتنا؛ في

بيتي الذي يحتضن كلّ براءتي وآثامي. في الوردة التي أهديتها لي يوماً، واحتفظت بها بطريقةٍ كلاسيكيّة بين أوراقي الملطّخة ببقع حبرٍ عشوائية. في صورتك بالأبيض والأسود التي أرى قوس قزح يتراقص فيها. في قلمي الذي يحتوي شخصيّاتي السبع. في كلّ لحظة ولادة، وكلّ لحظة موت. في ارتجاف يد الرّاهبة التي أهدتني ذاك الطوق بلا سبب. محشوراً بين كلّ يدين متشابكتين، وفي بتلات أزهار عبّاد الشمس الصفراء.

شكراً لأنّك أرشدتني إلى الله؛ شكراً لأنّك أرشدتني إلى الحبّ، فإذا لم يكن الله حبّاً لا أدري ما يكون.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

الرسالة رقم ٦

عزيزي مدير المتحف:

هل ترى ما أراه هنا في هذا المقهى؟

الجمال أسود قبالتي. قد لا يبدو لك ما يبدو لي. هذا المكان لو كان رجلاً لتزوّجته، أو لقبّلته بطريقة تجعله يدرك أنّه لم يكن سعيداً من قبل في حياته كلّها.

أشجارٌ اصطناعية، وجذوع أشجارٍ طبيعيّة. سجّاد معلّق على الجدران بدل أن يُفتَرَش. كلّ شيء بلون الخشب الدافئ -حتّى الوجوه- هذا ما ستراه أنت، لكنّي أكاد أقسم أنّني لا أنفكّ أسمع صوت أغاني "الباغان" تنبع من شقوق الأرضية

الممتلئة بالإسمنت البشع -بكلّ الأحوال لن تنظر إلى الأرضيّة في مكانٍ كهذا- ثمّ هناك لوحة ناصعة السواد تشع المكان؛ لعلّي سأحرّف تلك العبارة، وأقول: " الصمتُ في حرم السوادِ سوادُ".

يا لسواد هذه الكلمات، ويا لسوادي حين أخطّها. يتلاشى صوت أغاني "الباغان" ليبزغ صوت درويش وصورة ريتّا، ثمّ كافكا وميلينا؛ حتّى الملاحم الكرديّة القديمة التي أرغمني والدي على قراءتها في صغري، ولمْ أدرك لمَ وقتها لكن الآن أدركت؛ الآن أدرك.

تنبثق الآن صورة العجوز الضئيل ذي اللحية التي تكاد تبدو أكبر منه، الذي أهداني كتاباً لكافكا دون سبب، والراهبة التي أعطتني طوقاً فيه صورة العذراء مريم دون سبب أيضاً؛ كما رسالتي هذه التي تفتقد الأسباب. يا لجمال الأشياء التي تحدث دون سبب؛ لم أقتنع ولا أريد أن أقتنع يوماً بأثر الفراشة، فالعبثية هي التي تمنح الجمال للأشياء.

سأخبّئ قلمي الأسود الآن لأنّها الرابعة، والرابعة يا سيّدي تعني أنّ كأس الشاي قد برد، وأنّنا سنغادر المكان ليستيقظ هو.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

الرسالة رقم ٧

كيف حالك اليوم؟ ألازلت تحبّني مثل البارحة؟

اليوم سمعت أحدهم ينادي اسمك، أو ربّما اسم رجلٍ آخر يحمل نفس اسمك، وجاء ليكتبه على أوراق المكتب. أدركت لحظتها أنني نسيت اسمك. نعم، نسيت اسمك العاديّ المكون من ستة أحرف؛ الاسم الذي عرفتك به وسلبته منك بعد هذه المعرفة.

أقف الآن في منتصف التاريخ والتسميات والقوافي منذهلةً بانعدامي وانعدامك. أنت لم تعد أنت مذ أسميتك، وأنا لم أعد أنا مذ سميتك؛ لن نعود، ولن يدري أحد.

هل تراني أنظر في غضونك إليّ؟

تعاطيت صوتك والعديد من الأغاني لأصل إلى هذه الحالة. غيابك موتٌ، وحضورك ظلّه. أبعثر الآن الأبجديّة لأبني لك بيتاً هشّاً كقلبي ومتيناً كمكانتك فيه.

يا غديَ الموعود، وآنيَ المغموس بالانتشاء والضياع. لن أكتب لسواك؛ أمرٌ بديهيّ، فلن يجرّني من قلبي المشارف على التحجّر سواك.

لقد خرجتُ عن سيطرتي، كلّي. يداي تتحرّكان بطريقة غير منطقية، وفاقدة للمغزى تعيدان مراراً وتكراراً حركتهما حين تلمسان شرايين يديك البارزة كذكرى أبي. ضعت في عقيدةٍ لا مغزى لها سواك.

عقلي يرجف بدلاً من قلبي وأنا أقرأ لك. الكلمات تنبع دون وتيرة محدّدة من كلّ شعرة في ذقنك الأخيليّة، وكلّ تجعيدة ظهرت قبل أوانها في وجهك الذاوي.

إنّي أنظر في غضونك إليّ، وأضمحل.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

الرسالة رقم ٨

"بماذا تفكّرين؟" سألتني مرّة أخرى.

يصعب علي الحبّ لأنّه يصعب علي الاعتياد.

لا أستطيع الاعتياد على وجودك؛ سأستمتع به كلّ مرّة، ولا أستطيع الاعتياد على غيابك؛ سيؤلمني الأمر بذات الوتيرة -أو ربّما أكثر- كلّ يوم.

لن أعتاد الخصام، في كلّ مرة سيُصاب قلبي كأنّها المرّة الأولى.

لن أعتاد على اشتياقك حتّى أكفّ عن البوح به، بل سأشتاق إليك كلّ ساعتين، وسأخبرك كلّما فعلت.

لن أجد الفراق أمراً حتميّاً، فأنا أكتفي بالحبّ ولا أكتفي منه.

سأحبّك كلّ يوم بطريقة مختلفة عن سابقه، ولن تستطيع مجاراة حبّي لكن سأكتفي بابتسامة منك.

لن أعتاد على رؤيتك؛ ستتراقص الفراشات في جوفي كلّ مرّة ألمح فيها عينيك.

سأظلّ غير معترفةٍ بالاعتياد إلى أن يعترف بي الموت كصديقة.

سيمتصّ اعتيادك حبّك بعد سنتين، وسأبقى لوحدي أداري حبّي بحبّي لذا لا أستطيع أن أحبّك، لذا لن أخطو لك خمسين خطوة إذا خطوت لي خطوة، ولن أقترب منك باعاً إن اقتربت منّي ذراعاً. ها هنا سنقف؛ أنا وأنا. اقترب أو ابتعد أو ارقص، افعل كلّ ما يرضي سجيّتك البشريّة. أمّا نحن -أنا وقلبي- سنظلّ ثابتين.

الرسالة رقم ٩

وضعت لليوم عنوان "السعادة" غير مدركة أن الموازين ستنقلب في غضون دقائق.. ليخذلني العالم مرّة أخرى. كعادته، كلما أسعى لتصديقه يطبع على رقبتي قبلة الخذلان. لا بأس، أنا أقوى منه ومما أظن. لكن كالعادة القليل من صوتك يكفي لإحيائي من رمادي كالفينيق.

ربما أبالغ بالتأثر بك، أو ربما هذا ما يجب أن تكون عليه الأمور، لكن الأمر الذي أعلمه هو أن الجميع بحاجة خط عودة، وأظنني اصطفيتك لتكونه. لكن أحياناً أعود للفراغ بدلاً منك، ورغم توافر كلّ أسباب السعادة بك ينتابني اللاشعور تجاه كلّ شيء، وأعلم أن هذا الوقت سيمرّ ربما كمرور لقمةٍ بالغة الكبر في حلق طفلٍ رضيع لكنّه سيمرّ.. تعلّمت الآن. تعلمت أن أكون جبانة، وأن أكتب لك في أماكن لن تراها.. تعلمت أن أشتاقك بوجودك، وألا أخبرك إلا بعد أن تنام.. تعلمت ألا أقترب منك تمام الاقتراب، وألا أبتعد عنك تمام البعد. قلت لك يوماً أنني معك أتعلم كيف أحبّ، وأظن أن ما ذكرته ينتمي لهذه التعاليم. كلّ شيء فيك مجهول، القادم مجهول تماماً كالبداية والنهاية، وكالسرعة التي استحوذت بها على قلبي. في الحقيقة، لا تهمني المجاهيل، ولا المعاليم، ولا أي شيء آخر. ما يهم حقاً هو حقيقة حبّي الآنية لك، والمثل لي. أريد منك صورة. أحياناً أشعر أننا في أيام الحرب العالمية الثانية. أنا الممرضة، وأنت الجندي الجريح. ستشفى، وتترك المشفى متجهاً نحو ساحة المعركة، ولن تترك لي سوى صورة فوتوغرافية، ورسالة أسبوعية منك. لكن لا أريد أن أطلب منك صورة، فأنا لا أحبّ الأشياء التي

أحصل عليها بعد أن أطلبها بنفس القدر. كنت أتساءل كيف الطقس في دمشق. هل ما زالت الأمطار عصية عن النزول كما هنا؟ لا يهم. لقد مشيت معك تحت المطر كما كنت أتمنى، ليس لأني أحبّ المطر، أو أحبّ ترهات العشاق التقليديين عن المشي تحت المطر، بل لأنك بعثت لي بصورة من قبل. كان شعرك مبلولاً. كنت وسيماً بشكلٍ تذكره يؤلم قلبي لأنك بعيد. سأنام الآن مع وجود حربٍ بين تذكرك وتذكر ترّهات الحياة المؤلمة.. أتمنى أن تكون بخير.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

الرسالة رقم ١٠

يا ترى هل ستسخر من اللغة التي أكتب لك بها؟ باعتبارها أسلوباً قديماً. لا، أعرف أنك تحبّ الأساليب القديمة. البريق كان منطفئاً اليوم في عينيك، كنت حزيناً. كانت لدي رغبة

باحتضانك لكن جدراني الداخلية اليوم متكسرة،وزواياي الناتئة ستدميك إن احتضنتك. لكن لا بأس دائماً هناك بعضٌ مني بجوارك، فليحتضن بعضي السليم بعضك، ولا يمكن لأي شيء ألا يكون سليماً بالقرب منك يا إكسير الخيميائيين. شيء منك الآن يجوبني. أنا فارغة من كلّ شيء إلا منك، لكن ارتطامك بي مؤلمٌ أحياناً. ربما سجيتي البشرية البحتة هي المؤلمة لأني أريدك بشدة هنا الآن، أو أريدني هناك، أو حتى طيفك المخملي. عقلي ينطق موسيقا الآن، ومركز إدراكي مسافر لغرفتك. غرفتك ناصعة البياض رغم أن الضوء مطفأ. يوجد القليل من الفوضى على الأريكة لكن هذه الفوضى أصبحت جزءاً من الأريكة.. النافذة، رغم أنها لا تطل على مكانٍ ذي أهمية، أو جمالية بل تطل على شارعٍ خالٍ وممل تظل هي مخرجك من منفاك أحياناً، ومنفاك من وطنك أحياناً أخرى.. في هكذا أيام، غرفتك تسكنها وتسكنك. صوت الموسيقا الكلاسيكية يحجب عنك كلّ شيء، حتى صخب أفكارك. أحياناً تراقب دخان السيجارة، وتتخيله يتمايل طرباً على وقع العود مثل أذنك. غطاؤك هو أكثر شيءٍ لا يمكنك التخلي عنه في هذه اللحظة، فالبرد قارس. قنينة الماء متكئة على طرف السرير، وما زلت لا أعلم لمَ تشرب

الكثير من الماء، ولا يهم حقاً. ما يهم هو أمنيتي بأن استبدل بتلك القنينة لبعضٍ من الوقت. يمكنني رؤية كلّ شيء من حولك، ورؤيتك بأدق تفاصيلك كشامتك، أو كمداعبتك لشاربك من حينٍ لآخر. لكن لا يمكنني رؤية الأهم، لا يمكنني رؤية باطن عقلك. أريد أن أعرف بم تفكر، أو بم تشعر الآن. أريد أن أكونك الآن، ولا أريد ربما لأني أخشى مما قد تكونه. الضوء بدأ يؤلم عيني، سأكتفي بأن أتمنّى لك أحلاماً سعيدة.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

الرسالة رقم ١١

بدأت قصتنا في كلية الأدب الإنكليزي في دمشق. كنت أقرأ كتاباً لغادة السمان -لا لأني أحبّها، لكنه كان أول كتابٍ أقرؤه لها- عندما جلست بجانبي وسألتني عن الكتاب. بدأت أتحدث عنه كأنني أعيد قراءته للمرة الخامسة لأني لا أستطيع الاعتراف بجهلي في أمرٍ ما، ثم أخبرتك أنني أكتب، وأبحث عن دار نشرٍ تتبنى كتابي الأول. كنت أتحدث بكامل الشغف، وأخبرتني أنت أنك غير قادرٍ على الكتابة رغم حلمك الأزلي بأن تصبح كاتباً. الكثير من الأحاديث دارت يومها. ختمت اليوم بقولك لي:

"ألم تمنعكِ أمك من محادثة الغرباء" ومضيت. فشلتُ بعدها في كتابة أي شيء وكأن يدي شُنِقت. انتظرت أسبوعاً قبل أن أتخذ قراري بالعودة للمكان الذي التقيتك فيه أول مرة لأطلب، أو أتضرع إليك أن تفك التعويذة التي ألقيتها على يدي فغدت غير قادرةٍ على مسك القلم، فوجدتك هناك قبلي حاملاً في يدك ورقة، وعيناك تبرقان. أخبرتني كيف أنك كتبت لأول مرة، وأخبرتني أني أنا كنت السبب. كتبت عني أولى كتاباتك. قرأتها، كانت أجمل من أن أعكر صفوها بأن أخبرك أني ما عدت أكتب. جمعنا ذلك الكرسي العديد العديد من المرات بعدها. أنت تكتب، وأنا أكتفي بأن أكون إلهامك. جُلنا كلّ شوارع المدينة سويةً، وأوشكنا على أن نصبح المدينة. نشرت بعض الكتب التي لم تلق رواجاً، وشعرت بالإحباط. طلبت رؤيتي في مكاننا المعتاد، وما إن رأيتك قلت لي: "دعينا نتزوج. كنت أنت السبب وراء كلّ شيء جيد، فلنتزوج. لا نريد أطفالاً، فهم يفسدون كلّ شيء. فقط أريد العيش معكِ، ورؤية وجهك كلّ صباح". وافقت. تزوجنا، وبدأت تكتب من جديد. بمرور الأيام، ظللت تكتب كتاباً سميته تحفتك. كلّ شيء على ما يرام... كلّ شيء كان على ما يرام إلى أن حملت بطفل. لم يكن مخططاً له، كان مجرد خطأ لكنه في نهاية

المطاف حياة. منذ مجيئه إلى العالم كففت أنت عن الكتابة، وكنت تقول أحياناً إنه لو كان طفلة وليس طفلاً لربما اختلف الأمر. عجزت عن كتابة آخر قسم من تحفتك، وسحبتك دوامة الاكتئاب، وتفاقمت حالتي النفسية أكثر منك. في إحدى الليالي، وجدت سكيناً مغطاة بالدماء في يدي، وطفلي ملقىً أمامي مذبوحاً. ظننت أنني أنا من فعلتها لأريحك مما أنت فيه، فطعنت نفسي بالسكين ذاته، وبقيت أنت لوحدك، واتضح أنني لست أنا من قتلت الطفل. بكلّ الأحوال، بقيت أنت لوحدك.

هذا كان حلم الليلة الفائتة عنّا، وتقول "أنتِ على ما يرام"؟

⌑ ⌑ ⌑ ⌑ ⌑

الرسالة رقم ١٢

(رسالة انتحار)

مرحباً يا محطّمي الآمال. كيف الحال؟

قلتم إن الانتحار جُبنٌ، والحزن ضعف. حسناً، الانتحار ليس للجبناء بل للذين وصلوا لمراحل متقدّمة من الشجاعة.. أليس كذلك؟

أنا لم أكن أمتلك الشجاعة لأقرّر أنّني لا أريد رؤية المزيد من الحياة لكن من الواضح أنّ كلّ الخطوات التي يجب أن أتبعها لأتقدّم تشيرُ إلى الوراء، وأقلّ الأمور أهميّة تدفعني للجنون؛ حتّى سعال فتاةٍ غريبة في الشارع يجعلني أشعر بالرغبة في قتلها أو قتلي، لكن لِمَ كلّ شيء يدفعنا نحو الدمويّة؟

لم أكن لأتمنّى الموت لو أنّ والديّ لم يتصرّفا بأنانيّة، ويقرّرا إنجابي، أو لو أن تلك الفتاة التي ماتت في رحم أمّي وُلِدَت.

كلّ يوم، أدرك أكثر أنّ العالم بشع للغاية؛ لطالما كانَ كذلك، ولا وجود لما يسمّى بـ" الزمن الجميل " كلّ الأزمنة شنيعة، وابتكرنا الحبّ لنساعد أنفسنا على تحمّل هذه الشناعة.

يؤسفني الاعتراف أنّ الستينيات لم تكن زمناً جميلاً لكن سأبقي هذا الاعتراف لنفسي ليظلّ هناك ما أتطلّع إليه. هل يتطلّع المرء إلى الماضي؟

هذا يدفعني للتساؤل: هل كنّا سنتطلّع للولادة لو أنّنا بدأنا من الموت؟ أم أنّ الموت شكلٌ آخر من أشكال الخلق.. أو الحياة هي الشائبة الوحيدة على شكل دقائق معدودة تتخلّل أزلاً مثاليّاً من العدم.

هل الموت حلّ؟ أسئلة كإجابة على أسئلة، ولا سبيل للمعرفة إلّا بالتجربة.

الرسالة رقم ١٣

لن أبتدئ الرسالة باسمك، ولا باسمي، فلنتبادلهم، أو فلنتحرّر من لعنة الأسماء.

اليوم، أكتب، قلبي متشابكٌ مع قلبك بإحكام، وأتذكّر. أتذكّر كيف تساقطت عليّ كمطرٍ من لَيْلَك حتّى تلاشى الليل والمدينة في سوادٍ موج شعري. الليل وذراعاك وجهان لعملة واحدة - كلاهما عميقٌ بما يكفي ليجعلني أغرق - فهلّا احتضنت فوضاي قليلاً؟

هذه الفوضى ليست خلّاقة يا عزيزي. لا شيء يَخلق، ولا شيء يُخلَق إلّا من الهدم.

الهدم هو ما نفعله، وكلّ ما نحصل عليه.

هُدِمتُ، وهُدِمتَ يوماً لنصير كومةً من الحبّ، وقلبي لا يزال يفرغ الركام على تلك الكومة

لعلّها تبتلع العالم؛ فقط حينها سيصبح كلّ شيء جميلاً، وسيدركون أنّ لليل أذرعاً كثيرة مفتوحة لاحتضانهم، وطرد الخذلان من قواميسهم، وربّما حينها ستعرف أنّني سأظلّ أحبّك حتّى بعد أن تذبل زهرة البنفسج التي وسمتها على عنقي، وبعد أن تتحلّل بتلات الزهور التي أخزّنها في زجاجة الفودكا الصغيرة.

إلى ذاك الوقت؛ إلى أن يُعرَف ما هو الحبّ حقيقةً، سأحبّك كما أشاء بعيداً عن التسميات.

¤ ¤ ¤ ¤ ¤

الفهرس

الإهداء

عزرا..... ٧

البومة.....
٩.....

إنها
الماسونية.....
١٣.....

دو ري مي حرب!
.....
١٧

فستان
جدّتي.....
٢١.....

عزرا.....
٢٥.....

لا
انتماءَ.....
٢٩.....

إعدام.....
٣٣.....

صناعة
الشيطان.....
٣٧.....

قصة حبّ
عادية.....
٤٣.....

صورة
فوتوغرافية.....
٤٧.....

استهلاك.....
٥١.....

خميس
المقابر.....
٥٥.....

عريّ.....
٥٩.....

رسائل لن
تصل.....
٦٣.....

¤ ¤ ¤ ¤ ¤